قدرته بما يعجز عن اقل شيء منه غيره نزل به اي نجوما على سبيل التدريج من
الافق الاعلى الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل بقوله الروح دلالة
على انه مادة خير وان الارواح تحيى بما ينزله من الهدى وقال تعالى
الامين اشارة الى كونه عليه السلام معصوما من كل دنس فلا يمكن منه
خيانة على قلبك يا اشرف الرسل ففي هذا تقرير لحقيقة تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان الاخبار
عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو وحفص بتخفيف الزاي والروح الامين برفعهما والباقون بتشديد
الزاي والروح الامين بنصبهما فان قيل لم قال على قلبك وهو انما نزل
عليه اجيب بانه ذكر ليؤكد ان ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن
من قلبه لا يجوز عليه التغير ولان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع
التمييز والاختيار واما سائر الاعضاء فمسخرة له ويدل على ذلك الكتاب والسنة
والمعقول فمن الكتاب قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك واستحقاق
الجزاء ليس الا على ما في القلب قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم
الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب ومن المعقول ان القلب اذا غشي عليه
وقطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما
ينزل بالاعضاء من الآفات واذا فرح القلب او حزن تغير حال الاعضاء عند
ذلك ولان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى
القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فتنتقش بها روح
المخيلة ولما كان السياق في هذه السورة للتحذير قال تعالى معللا للجملة
التي قبله لتكون من المنذرين اي المخوفين المحذرين لمن اعرض عن الايمان
وفعل ما نهي عنه من المعاصي وقوله تعالى بلسان عربي يجوز ان يتعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة
هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لينذر به لانه لو نزله
باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهم
فيتعذر الانذار به قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه
ولما كان في العربي ما قد يشكل على بعض العرب قال تعالى مبين اي
بين في نفسه كاشف لما يراد منه ليس تاركا لبسا لمن عند من تدبره
على ما يتعارفه العرب في مخاطباتها من سائر لغاتها بحقائقها ومجازاتها
على اتساع اراداتها وتباعد مراسيها في محاوراتها وحسن مقاصدها

في كناياتها

في كناياتها واستعاراتها ومن يحيط بذلك حق الاحاطة غير العليم الحكيم الخبير
البصير ولما كان الاستكثار من الادلة مما يسكن النفوس ويطمئن به القلوب قال
تعالى وانه اي هذا القرآن اصوله وكثير من قصصه وامهات فروعه لفي زبر
اي كتب الاولين كالتوراة والانجيل وقيل وانه اي محمدا ونعته لفي كتب
الاولين اولم يكن لهم اي لكفار مكة ذلك آية اي على صحة القرآن او نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقرا ابن عامر بالتاء الفوقية ورفع آية على انها الاسم والخبر
لهم والباقون بالياء التحتية ونصب آية على انها خبر وقوله تعالى ان يعلمه
اي هذا الذي ياتي به نبينا من عندنا وهو اسمها علماء بني اسرائيل اي يعرفونه
بنعته المذكور في كتبهم والمعنى اولم يكن لهؤلاء المنكرين علم بني اسرائيل
علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلماء الذين كانوا من
بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم كعبد الله بن سلام
وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قال الله تعالى واذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال ابن عباس
بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية
على صدقه فائدة خط في المصحف علماء بواو قبل الالف على لغة من يميل
الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا قال الله تعالى
ولو نزلناه اي القرآن على ما هو عليه من الحكمة والاعجاز على بعض الاعجمين اي
على رجل ليس بعربي اللسان او بلغة العجم فقراه عليهم اي كفار مكة
ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم
من اتباع العجم وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا لجحودهم ونظيره ولو
جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته الآية تنبيه الاعجمين
جمع اعجمي بياء النسب على التخفيف بحذفها من الجمع ولكونه جمع اعجمي جمع
سلامة لانه حينئذ ليس من باب افعل فعلاء بخلاف ما لو كان جمع اعجم
فانه مؤنثه عجماء بوزن افعل فعلاء وهو عند البصريين لا يجمع هذا الجمع الا
لضرورة كقوله حلائل اسودين واحمرينا وقال ابن عطية جمع اعجم يقال
الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك
يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند
الطبري عن عبد الله بن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملي
هذا اعجم ولو انه انزل عليه ما كانوا يؤمنون ولما كان ذلك محل عجب وكان
ربما ظن ان الامر على خلاف حقيقته قرر مضمونه وحققه بقوله تعالى
كذلك اي مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الاعجم سلكناه قال ابن
عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين اي

Copyright © King Saud University